في بعض مناقب محمد كتخدا الفقه[1]

محمد بن الحسن بن عبد الله بن طاوس بن هرمز ملك بني شيبان[2].

وكان محمد بن الحسن الشيباني ابنَ عمِّ أبي حنيفة رحمه الله، كما بُيِّنَ في أول مناقب أبي حنيفة رحمه الله[3].

قال في «الحقائق» شرح «المنظومة»: كان محمد بنُ إدريس الشافعيُّ تلميذَ محمد بنِ الحسن الشيباني.

* قال في «المصفى» شرح «المنظومة»: قالوا[4]: الفقهُ نعمةٌ زرعَهُ ابنُ مسعود رضي الله عنه، وسقاه علقمة، وحصدَهُ إبراهيمُ النَّخَعي، وداسَهُ حمَّاد بن أبي سليمان، وطحنَهُ أبو حنيفة رحمه الله، وعجنه أبو يوسف، وخبزَهُ محمد بنُ الحسن[5]، والناسُ يأكلونَ من خبزه، وغايةُ المقصود من الزراعة الخبزُ. انتهى.

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٣٣٨، التاريخ لابن معين ٥١١، تاريخ خليفة ٤٥٨، المعارف ٥٠٠، ٥٤٥، الضعفاء للعقيلي ٤/ ٥٢، الجرح والتعديل٧/ ٢٢٧، المجروحين٢/ ٢٧٥، الفهرست ٢٥٧، تاريخ بغداد٢/ ١٧٢، طبقات الشيرازي١٣٥، الأنساب ٧/ ٤٣٣، اللباب ٢/ ٢١٩، وفيات الأعيان٤/ ١٨٤، سير أعلام النبلاء٩/ ١٣٤، العبر ١/ ٣٠٢، المغني في الضعفاء ٢/ ٢١٩، ميزان الاعتدال ٣/ ٥١٣، لسان الميزان ٥/ ١٢١، الجواهر المضية ٣/ ١٢٢، شذرات الذهب١/ ٣٢١، الفوائد البهية١٦٣ مناقب أبي حنيفة للكردري ٢/ ١٤٦.
وكتخدا: معتمد، أمين، نقيب. قاموس اللغة العثمانية.

(٢) في مصادر ترجمته اسمه: محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني.

(٣) انظر الصفحة (٣٠).

(٤) في (ب): قال في «الحقائق» شرح «المنظومة»: قالوا الفقه.

(٥) جاء في (ب) ما نصه: لأنَّ محمدًا أظهر علومَ أبي حنيفة رحمه الله، لأنَّ تصانيفه في العلوم=

* قال الحسن بنُ زياد: إن محمدَ بن الحسن صاحبَ أبي حنيفة مولًى لبني شيبان، وكان موصوفًا بالكمال، وذا منزلةٍ في كثرة الرواية والتصنيف في علم الفقه، يعظِّمونه ويصدِّرونه في المجالس بعد أبي يوسف رحمه الله.

* قال محمد بنُ الحسن: خلّفَ أبي إليَّ ثلاثين ألفَ درهم، وأَنفقتُ خمسة عشر ألفًا على تعلّمِ علم النحو والشعر، وخمسة عشر ألفًا على الحديث والفقه.

* وكان يقول لأهله: لا تَسألوني من حوائج الدنيا، ولا تكلّموني، فتشغلوا قلبي عمّا كنتُ فيه. يعني شغل العلم.

* قال أبو حازم: إنَّ أصلَ محمد الشيباني من قريةٍ بين فلسطين والرملة[1] أعرفها وقومه، ثم انتقلوا إلى الكوفة.

* قال أبو القاسم الصفَّار: إنَّ قولَ محمد بنِ الحسن مبنيٌّ على معاملات الناس ومصالحهم، وقولَ أبي يوسف مبنيٌّ على الآثار؛ لأن خبرَهُ الآثار، وقول أبي حنيفة مبنيٌّ على المعاني الدقيقة الغامضة.

* قال الشافعي: لقد كتبتُ حملَ بعيرٍ ذكرٍ ممّا سمعتُ من محمد.

وقال: وما رأيتُ أحدًا أعلمَ بكتاب الله تعالى، ولا أَعلمَ بالحلال والحرام، والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد، ولولاه ما فعالي من العلم ما اتفق[2]، فالناسُ كلُّهم في الفقه عيالٌ على أهل العراق، وأهلُه عيالٌ على

= الدينية تسعمئة وتسعة وتسعون كتابًا، فمشهورُها: «الجامعين» و«الزيادات» و«المبسوط» قيل: رآه واحدٌ من تلاميذه، وقال: كيف كنت في حالة النزعِ؟ قال: كنتُ متأمّلاً في مسألة، فلم أشعر بخروجِ كيف خرج.

(١) الصواب أن أصلَه من دمشق، من قرية حَرَستا. وهي قرية شمال دمشق بخمسة كيلومترات، وتكاد الآن تتصل بالعاصمة. انظر الجواهر المضية ٣/ ١٢٣.

(٢) كذا في (ب)، وفي (أ): ما فتولي من العلم ما اتفق. وفي مناقب أبي حنيفة ٢/ ١٥٣: ولولاه ما لصقت بي من العلم شيء.

أهل الكوفة، وأهلُهُ عيالٌ على أبي حنيفة رحمه الله.

وقال: ما فتشنا أحدًا من مسألةٍ مشكلةٍ نتبيَّنُ تعبيرَه في وجهه إلاَ محمد بن الحسن.

* قال إبراهيم الخراز: سألتُ أحمد بنَ حنبل وهو يُشيرُ إلى المسائل الدقاق، قلتُ: ممَّن أخذتَ هذه؟ قال: من محمد بن الحسن.

* قال محمد بن سماعة: أحضرَ هارونُ الرشيد محمد بنَ الحسن، وهو مفتيُّ زمانه، وناوله بكتاب أمانٍ كان ليحيى بن عبد الله بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهم، وكان يحيى ضربَ رجلاً بالعصا، ومات بذلك الضربة فقرأه، فقال: ما تقولُ فيه؟ فعرف محمدٌ أنَّ الرشيد أرادَ أن ينقضَ العهدَ ويقتلَهُ[1]، فآثر محمدٌ أمرَ الله تعالى والدارَ الآخرة، فقال برفع الصوت: يا أميرَ المؤمنين، هذا أَمانٌ صحيحٌ، ودمٌ حرامٌ، ومع ذلك لا قودَ في القتل بالعصا. فأخذَ هارونُ الكتابَ مُغضبًا من يد محمد، ودفعه إلى الحسن بن زياد، وقرأ بصوت خفي، وقال: هذا أَمانٌ. ثم ناولَ الكتاب إلى [أبي] البَخْتري بن وهب[2] قاضي البلد، فقرأه، فقال: لا أمان فيه، حيثُ سلَّ العصا، وزهقَ النفسَ المحرَّمة. ثم أخرجَ من خفِّه سكّينًا، وشقَّ الكتاب قطعًا قطعًا، ثم رماه، فقال: هذا كتابٌ منسوخ ليس بأمانٍ، اقتلِ الرجلَ؛ فدمُهُ في عنقي. فأخذ هارونُ دواةً، فرماها على رأس محمد بنِ الحسن، فشجَّهُ، والدمُ يسيلُ إلى وجهه، فخرجَ. قال: وخرجت أُثرَهُ وهو يبكي، فجئتُ معه إلى منزله، فقلتُ: يا أبا عبد الله، أَتبكي شجَّةً في سبيل الله؟ فقال: واللهِ، ما لها بكائي؛ ولكن بكيتُ تقصيري. فقلت: أيُّ تقصيرٍ وقعَ منك، وقد أدَّيتَ ما وجبَ عليك؟ قال: قد وجبَ عليَّ أن أَقول لـ[أبي] البَخْتَري: من أينَ قلتَ نسخ كتاب الأمان؟ أقمْ حجَّتَكَ حتى ألزمه،

---

(١) في (ب): ينقض الأمان ويقتله.

(٢) هو وهب بن وهب أبو البختري. انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/ ٤٨١.

وأن أَقولَ: لأيِّ شيءٍ أَخفيتَ في خُفِّك سكّينًا، وهل فعلَهُ أحدٌ من القضاةِ؟ ثم أَرسلَ الرشيد من خلفِهِ بعزلِ محمدٍ عن الفتوى، ثم أمرَ بحكم أبي البختري قتل يحيى، فقال الطالبي لهارون: اتَّقِ الله؛ فقد أفتى أفقهُ فقهاء العراق، والحسن بنُ زياد بتنفيذِ كتابِ أمانك، فردَدْتَ قولَهما، وحكمتَ بقولِ رجلٍ مشهور ادَّعى نسبًا لم يُقرَّ به أبوه، وهو طبَّالُ المدينة. فلمّا سمعَهُ منه، أرسل يحيى إلى الحبسِ، ومات فيه بعد مدة، ثم ندمَ الرَّشيدُ بما فعل محمد بنُ الحسن، فدعاه، فجعلَهُ قاضيَ القضاة، ثم ارتحلَ الرَّشيدُ إلى الرَّيِّ، ومعه محمدٌ، فتوفّي فيه في سنة تسع وثمانين ومئة، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة، ومات الكسائيُّ يومَ مات محمد بن الحسن، ودُفنا في الرَّيِّ، قال هارون: دفنتُ الفقهَ والنحوَ في الرَّيِّ.

***

وقد وقعَ الفراغُ من مناقب أئمتنا الثلاثة على يد مؤلّف الكتاب أبي اللَّيث مُحرَّم بنِ محمد الزيلعي في آخر شهور شعبان من شهر سنة عشر وألف من الهجرة النبوية ثم شرعتُ في: